المفكر الفرنسي فولتير

م.م.رشا فاضل كاظم الكعبي
جامعة الكوفة / كلية التربية الاساسية
rashaf.alkaapy@uokufa.edu.iq

الملخص:

شهد النصف الثاني من القرن الثامن عشر بروز العديد من فلاسفة التنوير في اوروبا، وذلك لتظافر عدة عوامل ساهمت في تحويل المجتمع الاوربي من عصر استبداد الكنيسة الى عصر العقل، ويمكن ان نلمس تأثيرا بارزا لبعض المفكرين الذين عاشوا في عصر النهضة الاوربية على تفكير هؤلاء الفلاسفة، اذ تكاملت جهود السابقين مع اللاحقين، في مسألة انتصار العقل والوقوف بوجه الملكية المستبدة، وهيمنة الكنيسة، كان فولتير، أحد ابرز المؤثرين في اتجاهات الرأي العام في اوروبا بشكل عام وفرنسا بشكل خاص.

الكلمات المفتاحية: (فولتير، الباستيل، مأساة أوديب، دي روهان، الرسائل الفلسفية).

French thinker Voltaire

assistant teacher .rasha fadhil kadhim al.kaapy
University of Kufa / College of Basic Education

Abstract:

The second half of the eighteenth century witnessed the emergence of many philosophers of the Enlightenment in Europe, due to the combination of several factors that contributed to the transformation of European society from the age of tyranny of the Church to the age of reason, and we can see a prominent influence of some thinkers who lived in the era of the European Renaissance on the thinking of these philosophers. As the efforts of the predecessors were integrated with those of the later, in the matter of the victory of the mind and standing up to the tyrannical monarchy and the dominance of the Church, Voltaire was one of the most prominent influences in the trends of public opinion in Europe in general and France in particular.

Keywords: (Voltaire, Bastille, The Tragedy of Oedipus, De Rohan, Philosophical Letters).

المقدمة:

يعد فولتير من الفلاسفة الفرنسيين الذين عاشوا في عصر التنوير، حيث ذاع صيته لدفاعه عن الحريات المدنية والاصلاح الاجتماعي، فكان لاعماله اكبر الاثر في ذلك.

وقد اسهمت مجموعة من العوامل الموضوعية التي دفعتني لاختيار الموضوع، منها انه موضوعا لم تتناوله الدراسات الاكاديمية في البحث، فضلا عن اهميته في تسليط الضوء على ماجرت اليه افكار فولتير من اثر على واقع المجتمع الاوروبي، مما جعلني اتصدى لدراسته في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

تناولت في المبحث الاول: حياة فولتير، وفي المبحث الثاني: فلسفة فولتير، وفي المبحث الثالث: مؤلفات فولتير، اما الخاتمة فقد كانت استعراضا لأهم النتائج التي توصل اليها البحث.

المبحث الاول : حياة فولتير

ولد فولتير في باريس (٢١-نوفمبر ١٦٩٤م)، ويدعى فرانسو ماري اروبه، كان طفلا ضعيف البنية وبصحة عليلة، ظل يشكو منها دون انقطاع، والده محامي ميسور الحال، وتنتمي امه الى اسرة من صغار نبلاء (مقاطعة بواتو)، ماتت ولم يتجاوز عمر فولتير السابعة، وكان اصغر اخوانه

لفولتير معلم يدعى القس (شاتانوف)، كان واسع الثقافة، رحب الافق، ألحق فولتير وهو في العاشرة من عمره بكلية يسوعية تضم ابناء الاشراف وقضى بها سبع سنوات، فتعرف على عدد من ابناء الارستقراطيين، الذين ظل حريصا على علاقته بهم طيلة حياته [١].

ظفر فولتير بجوائز كثيرة بعد تلقيه دروسا في الادب [٢]، وبعد تخرجه نوى ان يجعل الادب مهنته، إلا ان والده أصر على ان يجعله يدرس القانون، محذرا إياه من احتراف الادب، الذي

يؤدي الى الفقر والعوز على حد قوله، لذا ظل فولتير يدرس القانون ثلاث سنوات، كوسيلة للتدريب على المحاماة، وفي عام ١٧١٣ م عين ملحقا للسفير الفرنسي في لاهاي، وهناك احب فتاة ولاحقها باشعاره، وقطع لها الوعود بالارتباط مما جعل والده يستدعيه ويحرمه من الميراث، ويهدده بالنفي الى جزر الهند الغربية.

فنصحته الفتاة ان يحترم رأي والده ويصالحه ويصبح محاميا، فصفح الاب عن ابنه شريطة تعلم المحاماة [٣].

توفى لويس الرابع عشر عام (١٧١٥م)، وعجز الملك الجديد عن ضبط الامور، وانتقلت زمام الامور الى الوصي، فوقعت مظاهرات في باريس شارك فيها فولتير، واكتسب صيتا وشهرة واسعة، وصلت الى يد الوصي على العرش قصيدتان لفولتير اتهم فيها الوصي بمحاولة اغتصاب العرش، لذا تم القاء القبض على فولتير، وسجن في (الباستيل)، في (١٦ ابريل ١٧١٧)، ومنذ ذلك الحين اتخذ اسم فولتير رسميا له [٤].

في السجن اقبل فولتير على الشعر، واصبح شعره مميزا، واطلق سراحه بعد ١١ شهرا، وفي سنة (١٧١٨م)، انتج روايته المحزنة (مأساة أوديب)، عادت عليه الرواية بربح صافي قدره اربعة الاف فرنك، وبعدها اصيب بمرض الجدري الذي اوشك ان يقضي على حياته، لكنه شفي منه بعد فترة، بعدها نشب نزاع بينه وبين النبيل (دي روهان)، واعتقل في (الباستيل)، لكنه لم يلبث طويلا ونفي الى انجلترا [٥].

كان سفر فولتير نقطة تحول في حياته، فقد تعلم الانجليزية قراءة وكتابة، وهنا قرأ للفلاسفة مثل (جون لوك، فرنسيس بيكون، اسحاق نيوتن، وليام شكسبير)، ثم عرف شخصيا عددا كبيرا من اعلام الفكر الانجليزي، وقد تأثر فولتير كثيرا بالشاعر الانجليزي شكسبير، وبالعلماء الانجليز وبفلسفتهم العلمية التجريبية، لكن الذي هزه في انجلترا اكثر من اي شيء اخر هو نظامهم السياسي، فالديمقراطية في انجلترا والحريات الشخصية اذا ما قورنت في فرنسا، كانت

في القمة، فقد لوحظ انه ليس من حق اي انسان ان يضع احدا في السجن إلا بالقانون، على خلاف فرنسا التي يستطيع فيها اي نبيل ان يسجن اي مواطن بخطاب الى البوليس [٦].

كان بامكان فولتير وهو الغني جدا ان يعيش في برجه العاجي مرتاح من المخاطر والاحقاد، لكنه عرف انه اذا ماسكت عن الجرائم التي يرتكبها المتعصبون الكاثوليكيون بأسم الدين المسيحي فأنه سوف يتخلى عن اعز واعلى شيء يميز الانسان المثقف، الا وهو الدفاع عن قضايا الحق والعدل، ومن اهم القضايا التي دافع عنها، قضية تلك العائلة البروتستانتية التي كانت في مدينة (تولوز)، والمشهورة بأسم (كالاس)، فقد اتهم الاب (جان كالاس) بانه قتل ابنه (انطوان) لانه اراد تغيير مذهبه، وهاجت عامة الناس في مدينة تولوز وتأثر القضاة بذلك، واصدروا عليه حكما بالاعدام، وبعد بضعة اسابيع اكتشفوا براءة الرجل فجن جنون فولتير لذلك [٧].

عاد فولتير الى فرنسا عام (١٧٢٩م)، وفي عام (١٧٣٠م) مثلت له مسرحية (بروتوس)، ومسرحية (اريفيل وزائير) [٨] في عام (١٧٣٢م)، وفي عام (١٧٣٤م)، احدث كتاب شارل الثاني عشر ضجة كبيرة وبالرغم من ذلك انصرف فولتير لجمع المال بكل الطرق، ولتوسع ثروته خيل له انه بوسعه ان يرفع صوته فشجع نشر (الرسائل الفلسفية)، او (الرسائل الانجليزية)، واراد ان يكون النشر سريا، وصدرت في احدى طبقاتها ملاحظات على تأمل باسكال، سرعان ما اصبحت الرسائل الفلسفية مثارا للاستنكار على اثر تصرفات خاطئة ووشايات ومكر احاط بصاحبها، واحيل الكتاب الى برلمان باديس وحكم عليه بالحرق، والقي بصاحب المكتبة (جورج)، في الباستيل، وطلب القبض على الكاتب، اعد فولتير عدته لتجنب السجن، ووجد في (المركيزه دي شاتليه) خليلة ومعجبة في آن واحد، كانت مثقفة وتجيد اللاتينية، وتميل الى الرياضيات وما وراء الطبيعة، ولدى عائلتها قصرا في (سيري) على تخوم مقاطعة اللورين، فقرر فولتير ان يعتكف في ذلك القصر [٩].

كتب فولتير عن (المركيزة دي شاتليه) واصفا اياها بندرة ان يجتمع لدى انسان ما اجتمع لديها من حصافة رأي وذوق وهمة للتعلم، وكانت الى جانب ذلك تحب المجتمع وكل ما يسلي

النساء اللواتي في سنها، إلا انها انصرفت عن ذلك كله كي تذهب وتدفن نفسها في قصر مهدم، إلا ان هذا القصر ضم بين ثناياه حدائق غناء ومكتبة واسعة ومختبر وردهة للوحات وغرفا للاصدقاء مثل (كوبنغ وموبرثوري وجان برنوللي) [١٠].

اقام فولتير في مقر (سيري) ستة اعوام دون انقطاع تقريبا، وقام خلالها بعدة اسفار، كسفرته الى (هولندا) [١١]، عام (١٧٣٩م)، إلا انه يعود بانتظام الى القصر الذي استقر فيه، وفي عام (١٧٤٠م) استدعت محكمة بروكسل (مدام شاتليه)، فسافر فولتير معها ونجح بمصالحة ماهرة ليضع حدا لدعوى تدوم (٦٠)عاما، ووجد فولتير نفسه وهو في بروكسل من سبيل اللياقة الى ان يواصل السير الى (كليف) في المانيا كي يقابل (فردريك الثاني)، الذي كان يتراسل معه منذ عام (١٧٣٧م)، وبعد انتهاء مشاكل (ال شاتليه)، لم يعودوا الى (سيري)، بل الى باريس، حاولت السلطات الفرنسية الاستفادة من صداقته بملك بروسيا فعهد اليه عام (١٧٤٣م)، بجهة دبلوماسية حقيقية اوصلته الى برلين ولكنه لم ينجح فيها، والى جانب هذا فانه كان في حماية (مدام دي بومبا دور) اقوى شخصية في ذلك العهد، وراح يتردد على قصرها وقصر الدوقة (مين)، ويقيم العلاقة مع ملك اللورين (دار جنسون)، فكل ذلك جعله في موضع حفاوة وتكريم [١٢].

في عام (١٧٤٩م) توفيت (مدام دي شاتليه) اثناء مخاضها، وحاول فولتير نسيان حرمانه منها، وفقدانه لها بالعمل، وشغل نفسه فترة من الزمن بالكتابة عن (لويس الرابع عشر)، لكن الذي انقذه من من يأسه هو تجديد دعوة (فردريك الكبير)، له للحضور الى بلاطه في (بوتسدام)، وكانت دعوة ارفقها بمبلغ ثلاثة الاف فرنك لنفقات السفر، لا يمكن اغفالها اخذ فولتير طريقه الى برلين في عام (١٧٥٠ م)، وتم تخصيص جناح فاخر لفولتير في قصر (فردريك)، عاش فولتير في كنف فردريك عيشا هادئا، وكان (فردريك)، ذكيا ويناقش في اغلب المسائل العلمية، وقد اعجب به فولتير قائلا: (هنا يفكر الانسان بشجاعة وحرية، ان فردريك يجرح بيد، ويداوي بيد اخرى... لا شيء يزعجني لقد وجدت ميناء أرسو به بعد عاصفة استغرقت خمسين عاما) [١٣].

قضى فولتير ١٦ عاما في كنف ملك بروسيا (فردريك)، لكن ساءت العلاقة بينهما فيما بعد، في عام (١٧٥٤م)، عندما كتب فولتير كتابه (دكتور اكاكيا)، الذي شهر به بالعالم الرياضي الفرنسي (ميبير ثويس) وقرأه على (فردريك)، الذي ظل يضحك طوال الليل، وامره ان لا يطبعه، فكان انذاك العالم الرياضي وبعض العلماء قد استقدمهم (فردريك) من فرنسا، لتحديث بروسيا، بيد ان فولتير طبع الكتاب وهرب، وكلاء الملك استوقفوه في (فرانكفورت)، ودخل السجن، وبعد اطلاق سراحه، وكان على وشك الدخول للحدود الفرنسية، وصلته رسالة تمنعه من الدخول، وقع في حيرة من امره، وظل طيلة شهر مارس (١٧٥٤م)، يبحث عن مكان مناسب له [١٤].

استقر اخيرا فولتير على شراء بيت على ضفاف بحيرة (جنيف)، على الحدود الفرنسية، ومن ثم انتقل لبيت اخر في (مولزيون)، قرب لوزان في عام (١٧٥٥م) [١٥].

ازدادت اعمال فولتير التجارية، وامتلك الكثير من الاراضي، إلا ان ذلك لم يمنعه من عمله المسرحي فانجز مسرحية (السكوتلندية)، و (عصر لويس الرابع عشر)، و (تاريخ روسيا)، و (تاريخ البرلمان)، و (وقائع الامبراطورية)، وقام بتحرير مقالات الانسكلوبيديا واشرف على القاموس الفلسفي، وفي عام (١٧٧٨م)، قرر مسرح (الكوميدي فرنسيز)، ان يمثل اخر مأساة لفولتير (ايرين)، واصر الجميع على ان يحضر فولتير الى باريس ويشهد التمثيلية بنفسه، فقبل الدعوة ونزل ضيفا على (المركيز دي لافايين)، واستقبلته باريس بحماس وحفاوة كبيرة، فكان استقبال الاكاديمية له يليق به وبشعبيته إلا انه اصيب ببرد اثناء زيارة باريس ومات في ليلة (٢٠-٢١ اذار-١٧٧٨م)، ورفض الاكليروس الباريس دفنه حسب الطقوس المسيحية، وحمل الاب (دي سبلير)، جثمانه ودفنه في ديره، حيث عثرت عليه الجمعية التشريعية وحملت رفاته الى (البانسيون)عام (١٧٩١م) [١٦].

المبحث الثاني (فلسفة فولتير)

يستطيع الانسان ان يطلق على فلسفة فولتير (عن جميع الاشياء التي يمكن ان تعرف)، كان مشهورا بفلسفته الدينية، ومن اسمه اشتقت الفولتيرية والتي تعني (خطة الشك الساخرة بازاء

الاديان)، واذا اردنا ان ندرس فلسفة فولتير علينا ان نبين بداية ماهي اجابته عن الاسئلة الميتافيزيقية الاساسية التي اثارتها الاديان، واول هذه الاسئلة هل الاله موجود ؟ يعتقد فولتير ان صانعا الهيا صور هذا الكون، وجمعه ورتبه، والبرهان الذي الذي يقدمه على هذا، هو، نظام العالم، اي (النواميس الطبيعية)، ويعتقد فولتير بحجة اخلاقية اخرى وهي: (ان الايمان بالله يشيب على الاعمال الخيرة، ويعاقب على الشريرة، انفع عقائد النوع السري، فهو الرادع الوحيد للاقوياء من بني البشر)، السؤال الثاني: هل يؤمن فولتير بحرية الاختيار؟ انه يقرر ان العالم خاضع لنواميس محدودة، وانها ثابتة، وان كل شيء مرتب متماسك محدود، اذن فولتير جبري ولكنه سيجد نفسه قد انتهى الى اقرار الحرية كما اقر الاله لاسباب خليقته، لان عدم الايمان بالحرية يعني هدم روابط المجتمع البشري [١٧].

استنكر فولتير رأي باسكال القائل : (ليس في الامكان ان نعرف وجود الله بالعقل)، يقول فولتير في ذلك: (ان القس يعلم الاولاد ان الله موجود، ولكن نيوتن يثبت وجوده لذوي الالباب)، يقول: اذا وجد شيء كان له سبب، وهذا السبب له سبب بدوره، وهكذا، ولكن اذا لم يوجد سبب اول لم نستطع ان نفسر شيئا مطلقا (فأنا اذن مضطر الى ان اعرف بوجود كائن واجب الوجود منذ الازل وهو اصل الكائنات)ان هذا السبب لايمكن ان يكون سوى (الله) [١٨].

لن نقع عند فولتير على مذهب فلسفي بالمعنى الاختصاصي للكلمة، ان معظم كتاباته بما فيها رواياته والكثير من تراجيدياته هي بمثابة حملات على الاحكام المسبقة و دعاوى للتجديد، وقد كان يساوره شعور لتضاد جاد بين المدى الذي اوصلت اليه الفلسفة العقل البشري، وبين طريقة غالبية الناس في التفكير والحياة، فمن جهة: يتولد من معرفة محدودية العقل البشري، والوفاق بين العقول والتي يكون مرجعها الحرية وتقدم العلوم، ومن الجهة الثانية: هناك التعصب وما تضعه القوانين والاعراف في متناوله من وسائل الاكراه والشقاق والخصام، وطموح فولتير ان يرضى بالحياة العقلية والخلقية الاجتماعية الى مستوى الفلسفة، وان يحرر الانسان من الاحكام المسبقة وعماده في ذلك التنوير لاعلى تغير داخلي في الانسان [١٩].

نهض فولتير ومعه كل فلاسفة التنوير ضد اللاهوت المتعصب الذي يكفر كل من لايتفق معه في ارائه، ولايتصور احد ان فولتير لم يكن مؤمنا بالله لكن التقاليد في الكنيسة وعبادات الكنيسين التي لا تتفق مع العقل ولا مع الانسانية، وكان هذا اللاهوت هو سبب حروب دينية ومذهبية اندلعت في كل انحاء اوروبا طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر [٢٠].

نهض فولتير بكل قوة ضد هذا التصور المرعي الذي قدمه الاصوليون المسيحيين عن الله، ونهض ضد فكرة الخطيئة الاصلية التي تدين الانسان حتى قبل ان يولد، وكان بذلك مسايرا لعصر التنوير كله، يقول بهذا الصدد: (لقد صوروك كطاغية، وانا ابحث فيك عن اب رحيم، انا لست مسيحيا ولكن لكي احبك بشكل افضل)، لم يكن فولتير مسيحيا رغم انه ولد في بيت مسيحي كاثوليكي [٢١].

اما بخصوص صفات الله فقد قال فولتير: (افضل ان اقف على ان وجود الله ثابت لدي اما صفاته وجوهره فاني اعتقد انه في الثابت لدي اني لست مصنوعا لتفهمها)، اما بخصوص الاعتقاد بالخليقة الازلية فيميل فولتير الى الاعتقاد بها، وفي مسألة الخير والشر يقول: (ان اعطاء جواب يحيط بالمسائل جميعها ويرد على مسألة الشر لأمر فوق امكاناتنا)، اما بخصوص نظرية اصول الاجناس فان فولتير يقول: (يجب ان لاننسى الحقيقة الكبرى التي تثبت ان الطبيعة لا تكذب نفسها فجميع الاجناس تبقى كما هي دائما) [٢٢].

اما بخصوص القانون الطبيعي عند فولتير، فهو ذاك الذي ترسمه الطبيعة للبشر كافة، فمن ربى ابنه استحق الاحترام الذي يعود الى كل اب، والعرفان بالجميل الذي يدين به المرء لكل من احسن اليه، ومن زرع ارضا بيديه استحق ماتنتجه هذه الارض، ومن قطع عهدا كان مطالبا بالالتزام به، ومن استحصل على عهد حق له ان يطالب بالوفاء له، ولايمكن للقانون الانساني ان يقوم على اي اساس اخر غير هذا القانون الطبيعي، المبدأ العام لكل القوانين واحد، وانطلاقا من هذا المبدأ ان يقول لانسان لاتفعل مالا ترغب ان يفعل بك، وان لاتقول (امن بما اؤمن به انا، وبما لاتؤمن به انت، وإلا كان مصيرك الهلاك) [٢٣].

والدين الشامل هو دين العقل او دين الطبيعة البشرية او دين القانون الطبيعي، لاوجود للعقائد التاريخية او الاسطورية فيه، وهي مرحلة فلسفة التنوير التي لا يحتاج فيها الانسان إلا لعقله [٢٤].

هذه المباديء الاساسية لفلسفة فولتير، وهي مباديء ليست اصلية او مبتكرة، فقد استعار فولتير اراؤه وحججه من اسلافه ومعاصريه، واستخلصها من (لوك ونيوتن واخرين)، وبنى فلسفته على اسس لم تكن جميعها متينة ودون ان يتقيد بالدقة المطلوبة من الفلاسفة، ولكن ذلك لم يمنع من ان يكون من كبار العاملين في تلك الفلسفة التي حررت الاذهان في القرن الثامن عشر [٢٥].

ومن الجدير بالاهتمام انه وخلال خمسة عشر عاما فقط ظهرت الكتب التي ستؤمن للتنوير انتصاره في فرنسا، فروح القوانين (لمونتسكيو) صدر في عام (١٧٤٨م)، والعقد الاجتماعي (لجان جاك روسو)، صدر في عام (١٧٦٢م)، واصبح فيما بعد انجيلا للثوار الفرنسيين، والخطاب التنظيري للموسوعة صدر عام (١٧٥٠م)، والقاموس الفلسفي صدر عام (١٧٥٤م)، ويتضح من ذلك ان لهؤلاء الفلاسفة بالغ الاثر في ارساء قاعدة التنوير الاوربية [٢٦].

انطلاقة فولتير في عهده كانت نحو التفاؤل والابتسام حتى ان الاوضاع انذاك تغيرت نحو الامن والرخاء وباتت الاوضاع الاقتصادية مزدهرة ولاسيما ان الكثير من الاموال صارت تتجمع بيد الطبقات العليا [٢٧].

واكثر اعماله الفلسفية كانت متعة المفكرين وضرورة ثقافية للمجتمع، في القرن الثامن عشر، فضلا عن الاثر الذي تركته تلك الاعمال في المجتمعات الاخرى كما تركت الاثر في مفكري امريكا مثل: (توماس جيفريون، جيمس ماوسون، بنيامين فرانكلين، واخرين)فكان فولتير القوة المحركة للفكر انذاك [٢٨].

المبحث الثالث: مؤلفات فولتير

١ – القدر

عرض في هذه القصة بعض المشكلات الفلسفية التي شغلت الناس دائما وشغلت بال الفرنسيين بشكل خاص، وهي القضاء والقدر، تحدث فيه في الفصل الاول تحت عنوان (الاعور)، عن فتى اسمه (زويج)، امتاز بالذكاء وانكر الغيبية، وكان مليء بعلوم زرادشت، كان عاشقا لفتاة من بابل، اسمها (سهير)، وانها أُختطفت [٢٩].

كتب فولتير هذه القصة حين كاد القرن الثامن عشر ان ينتصف سنة (١٧٤٨م)، وقد حرص على طباعتها خارج فرنسا ونشرها فيها [٣٠].

مر فولتير في طور من اطوار حياته يقرأ الكتب الادبية، وقد قرأ كتاب ألف ليلة وليلة، وراقت له القصة، ووجهته الى علوم الشرق واخرج للناس قصصا شرقية رائعة جدا ومنها هذه القصة، بطلها من اهل بابل اسمه (زويج)، وهذا الفتى المثقف تعرض لكثير من المحن، في وطنه وفي الاوطان التي سافر اليها في مصر وبلاد المغرب وسوريا، وكانت هذه الاحداث والمحن كلها مخالفة لطبيعة الحياة كما يراها الناس، فكان يكافأ على الخير بالشر دائما، ويتقبل ذلك بالحيرة والصبر والاذعان، حتى كوفيء في اخر المطاف بأن يصبح ملكا على بابل كلها، ففي المشكلة عرض فولتير (القضاء والقدر) كما يتصورها الشرقيون، او كما توقع فولتير تصور الشرقيون، وفي الحل تلخص في ان الانسان اقصر عقلا واقل ذهنا من ان يفهم كلمة الخالق الذي ابدع العالم ووضع له كل ما يحتاجه، من قوانين، فما عليه إلا ان يكد ويجد ويعمل الخير ماوسعه، ذلك وما عليه بعد ذلك ان تسره الحياة او تسوءه وان تسعده الاحداث او تبغضه، وفي القصة امور اخرى منها ان العرض الفلسفي لمشكلة القضاء والقدر والذي اتاح له الخلود وهو نقد الحياة الانسانية من ناحيتها السياسية والاجتماعية والخلقية، والنفوذ بهذا النقد الى صميم الطبيعة الانسانية وما ينشأ عن احتمالها للحياة وتصرفها فيها من الخطوب، وواضح جدا ان فولتير اتخذ هذه القصة وسيلة الى نقد الحياة الاوربية عامة والفرنسية خاصة، واتخذ من بابل رمزا لباديس وقصر بابل رمزا لقصر باريس [٣١]

٢ – قصص وحكايات

ويعد من الكتب الساخرة التي حاكى بها فولتير كتاب ألف ليلة وليلة، وهو يجمع بين الخيال والسخرية، وعمل من خلاله على نقد الكثير من مظاهر الحياة الفرنسية في عصره باسلوب قصصي فكاهي، وقد انشأ لكل قسم من اقسامه عنوانا خاصا تتدرج تحته قصة خيالية ساخرة، وقد اكد من الباحثين الذين درسوا حياة فولتير ان تأليف هذه القصص البسيطة في اسلوبها، الساخرة في فهمها، كان لهدف في نفس فولتير وهو نقد الكنيسة، والملكية في اوروبا، وكذلك محاولة تشبيه عصره بالعصور التي ظهرت فيها ألف ليلة وليلة [٣٢].

ما يميز هذا الكتاب هو انه يخرج بين ثناياه ما بين الف ليلة وليلة والخيال الذي كتبت به، وبين فلسفة فولتير الذي حاول ان يصوغها من خلال هذا الكاتب وبهذا الاسلوب القصصي الهادف، الذي اكد على ان الكثير من الموروثات سواءا كانت دينية او سياسية او اجتماعية، لا اساس لها من الصحة، ولا نصيب لها من القبول، ولكن المجتمع والكنيسة امنوا بها، دون ادنى اعتبار لما تحمله من خرافة وجهل، وكان الاسلوب الناقد الفكاهي من الاساليب التي اتخذها فولتير بعيدا عن احتجاجاته السياسية.

٣ – الرسائل الفلسفية

يعد من اشهر كتب فولتير واكثرها قيمة علمية، وقد صور من خلاله وصاغ ما شاهده في انجلترا، بعد ان عاش فيها منفيا لعامين، ومن خلال مشاهداته تلك اطلع على حياة الانجليز عن كثب، ورغم ان مؤلفه كان منه شيء من التهجم على البرلمان الانكليزي ونقده لمجتمع انجلترا وللعالم نيوتن إلا ان هذه الرسائل ال (٢٥)، قد حملت بين طياتها اعلان حرب فكرية على نظم فرنسا وطبائعها وادابها السياسية في عصر فولتير، فكان هذا الكتاب اقوى العوامل التي قادت الى الثورة الفرنسية وتوجيهها، وتهذيب المجتمع [٣٣].

تكون الكتاب من (٢٥) رسالة نشرت لاول مرة في عام (١٧٣٣م)، و (١٧٣٤م)، بعد عدة سنوات من تركه انجلترا في عام (١٧٢٨م)، وطبع بعده عدة مرات باللغة الانجليزية

والفرنسية، وكان من اكثر الكتب مبيعا في عصره، وجلب لفولتير الكثير من المتاعب واضطر بسببه الى ترك باريس، وقد هاجم فولتير فيها المعتقدات الدينية للكنيسة ورفضها للتطعيم ضد الامراض، اضافة إلا انه امتدح انجلترا عدوة فرنسا اللدودة، وكان اسلوب فولتير المزج بين المجاملات اللطيفة والشروح الحذرة، والتعليقات الساخرة، اثناء كتابة رسائله من انجلترا الى فرنسا، وضع فولتير القيم المتكافئة ظاهريا قبل ان يتقدم ليخل بهذا التوازن بحذر، وحتى عندما يتحدث عن الفلسفة فانه يضعها في افاق متوازية تجمع بين ديكارت ونيوتن المتنافسين وهو يرويها ببراءة مصطنعة كسائح رأى تغييرا في اساليب الحياة [٣٤].

كان يتميز فولتير في اسلوب كتابته بالتشويق للقاريء وذلك يعزز كتاباته ويجعلها مرغوبة في المجتمع، وعلى الرغم من انه لا احد رد على (الرسائل الفلسفية)، فانها كان لها الاثر الكبير على ثقافة المجتمع الذي عاصره فولتير والاجيال التي تعاقبت بعده [٣٥].

٤ – كنديد أو التفاؤل

جعل فولتير من شخص يدعى (بنغلوس) بطل التفاؤل، و (مارتن) بطل التشاؤم، وفي هذا الكتاب يجوب فولتير معظم اقطار العالم ويتجلى التشابه النفسي حيال ماينطوي عليه تاريخ العالم من حروب ومصائب، و (كنديد)، من اهم الكتب حملة على التفاؤل، والكتاب مملوء سخرية وابداع ويتألف من جزئين، الاول يجمع العلماء على انه له، اما الثاني ففيه خلاف في نسبته اليه، كان مذهبه الديني والسياسي في كتابه هو الاصلاح وثلم شوكة الاستبداد، فكانت فرنسا في عهد لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر، تعيش في استبداد ديني وسياسي [٣٦]، فظهرت في اوائل القرن الثامن عشر روح تذمر شديد بين المثقفين ضد الكنيسة والملكية ولكن مع تعذر الجهر بالحملة على الدين والنظام القائم، وكان فولتير على رأس المتذمرين، وبهذا الكتاب يحاول فولتير ان يرسم فلسفته حول المصير والتفاؤل ويشير في ثنايا كتابه الى الحروب الدينية والسياسية اشارات رمزية، فلا يصرح بأسماء المتحاربين، ويشير كذلك الى ضياع حقوق الانسان وانتصار الوحشية سواءا في البر الاوربي او في العالم الجديد [٣٧].

٥ – القاموس الفلسفي

يعد القاموس الفلسفي من اهم كتب فولتير بعد رسائل فلسفته، ويهدف الى ثلاث غايات الاولى: رفض عقيدة العناية الالهية، التي تدور حولها الديانة المسيحية وبالتالي رفض كل ما يتعارض مع العقل في ميدان العقائد، او ما يتعارض مع الفلسفة في مجال السلوك، اما الثانية : هدم الفلسفات الميتافيزيقية والنظريات الفلسفية التي هي اقرب الى المتاهات العقلية والمناداة بالمعرفة الحسية والرؤيا المباشرة، والثالثة : الدعوة الى الاسلام ومهاجمة الحروب الدينية والدنيوية وشجب التعصب الديني والفلسفي، وفي الحقيقة يتجه القاموس الفلسفي كله نحو اثبات الغاية الاولى وهي اعادة بناء الدين على اساس عقلي [٣٨]، وبالتالي يحاول فولتير اعادة كتابة تاريخ المسيحية ويهدف من خلاله الى:

١ – دراسة المسيحية كجزء من تاريخ الاديان المقارن ولا يفرق بين الاديان الموحى بها، وبين الاديان الوثنية مثل البوذية، ويدعي ان المسيحية مرت ببعض المراحل التي مرت بها الاديان الاخرى ويقول انهما نشئا من الاسطورة.

٢ – من العقائد الاسطورية الى الاخلاق العلمية، يرى فولتير ان معظم العقائد في الاديان هي نسيج من الاساطير ووضع من الجماعات الدينية الاولى ويطبق ذلك على المسيحية وعلى الديانات الاخرى.

٣ – من المسيحية التاريخية الى الدين الشامل، حاول الفلاسفة قبل فولتير القضاء على الطابع الخاص للمسيحية باعتبارها دينا محيرا يدور حول وقائع معينة لا تتكرر الى الابد، وتنحصر في شخصيات معينة ومقدسة في افعالها وحياتها وموتها، فحاول الفلاسفة القضاء على ذلك وتحويل المسيحية الى دين شامل [٣٩].

الخاتمة:

اتسمت فترة الدراسة وهي النصف الثاني من القرن الثاني عشر، ببروز الكثير من المفكرين الذين كان لهم الاثر البارز في رسم اتجاهات التفكير الفلسفي في اوروبا، من خلال ما

توصلوا إليهِ من افكار ونظريات، فكان فولتير احد الفلاسفة الذين كان لافكارهم اثرا في حياة الاوربيين وعلى الضد من الاستبداد وأفكارالكنيسة، بعد نفيه للمرة الاولى الى بريطانيا، اطلع على التطور السياسي الحاصل هناك واعجب به، وحاول ان ينبه الشعب الفرنسي لذلك التغيير.

فأستخدم اسلوب التورية والسخرية وذلك خوفا من مطاردة الكنيسة اوالسلطة له، ومن خلال الاسلوب الساخر الذي استخدمه، اوصل للمجتمع الفرنسي اراءه وافكاره.

وما كتب من اراء وضعها في اعماله ومسرحياته، حاول تنبيه الشعب الفرنسي الى مساوىء السلطة والكنيسة، وكان يعتقد ان بإمكان الفلاسفة احداث التغيير انذاك في المجتمع.

وامتازت كتاباته المختلفة بالعالمية، فكان فولتير مطلع بشكل جيد على اغلب الثقافات ومختلف الحضارات الاخرى، لذلك نجد كل من يقرأ مؤلفاته يلاحظ انه يوجه نقد لكل الاديان والافكار والانظمة السياسية، فالقاريء يجد في كتاباته ومسرحياته محاكاة بالامكان ان يعبر من خلالها اغلب الحدود الى افريقيا وامريكا واسيا، والى كل بلد وحضارة وفكر، لذا حصدت كتاباته على تأثير فاعل في مختلف المجتمعات والمجتمع الفرنسي بصورة خاصة.

الهوامش:

---

(١) رشوان، مالك محمد احمد، الثورة الفرنسية واثارها، (د.م: د.ط، د.ت)، ص١٢.

(٢) كريستون، اندريه، فولتير، حياته، اثاره، فلسفته، ترجمة: صباح محي الدين، (بيروت: منشورات عويدات، ١٩٨٤)، ص١٠.

(٣) رشوان، المصدر السابق، ص١٣ ؛ نويه، عثمان، المفكرون من سقراط الى سارتر، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٠)، ص٢٣٥.

(٤) رشوان، المصدر السابق، ص١٣.

(٥) ديورانت، ويل، قصة الفلسفة، (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٨٨)، ص٢٥٣-٢٥٦ ؛ Desnotes, remarques, devoltaire, (paris, delancle prebes,1871),p242.

(٦) منظور، انيس، الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله، (القاهرة: المكتب المصري، د.ت)، ص٣١٤ ؛

الجمل، شوقي، عبد الله عبد الرازق، تاريخ اوروبا، (القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٠)، ص٨٣.

(٧) صالح، هاشم، مدخل الى التنوير الاوربي، (بيروت:دار الطليعة، ٢٠٠٥)، ص٢١٥-٢١٦.

(٨) cour, ala, Voltaire, (paris, libraires editeurs, 1860),p32.

(٩) كريسون، المصدر السابق، ص١٨-١٩.

(١٠) كريسون، المصدر السابق، ص٢٠.

(١١) Beitrage, Voltaire studien, (oppeln, eugen francks suchhan olund geord maske, 1882),p29

premier,tome, devoltaire, (paris,chez cauthier,frères,1911),p42؛

(١٢) كريسون، المصدر السابق، ص٢٢-٢٤.

(١٣)ديورانت، قصة الفلسفة، ص٢٧١.

(١٤) ديورانت، قصة الفلسفة، ص٢٧٢-٢٧٣.

(١٥) كريسون، المصدر السابق، ص٣٥.

(١٦) كريسون، المصدر السابق، ص٣٧-٤١.

(١٧) مورا، اندريه، نصوص مختارة من فولتير، ترجمة:محمد غلاب، (الجزائر:المؤسسة العربية الحديثة، د.ت)، ص١٧-٢٢.

(١٨) كريسون، المصدر السابق، ص٦٠-٦١.

(١٩) بريهه، اميل، تاريخ الفلسفة، القرن الثامن عشر، ترجمة:جورج طرابيشي، ط٢، (بيروت:دارالطليعة، ١٩٩٣)، ص١٧٨-١٧٩ ؛ Lesombres, parmi

Voltaire, (paris, etletroure,no date),p131.،

؛ Genevois,etles,Voltaire, (paris,parj.GABREL,1857),P11.

letres, devoltaire, (paris, Didier libraries editeurs,1858)p98. ؛

؛ ١٧٨ Robert, leon, dissertation, (imprimerie georges bridel,Lausanne,1904),p

(٢٠) صالح، المصدر السابق، ص٢٢٥.

(٢١) صالح، المصدر نفسه، ص٢٢٦.

(٢٢) كريسون، المصدر السابق، ص٦٧-٨٠.

(٢٣) فولتير، رسالة في التسامح، ترجمة: هنرييت عبودي، (دمشق: دار بترا، ٢٠٠٩)، ص٤٧ ؛ NOURISSON,VOLTAIRE, (PARIS, LIBRARY UNIVERSITY OF TORON,1972),P313.

(٢٤) حنفي، حسن، القاموس الفلسفس لفولتير، مجلة التراث الانسانية، العدد الثامن، (مصر، وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٦٨)، ص٧٧ ؛
Pelissier, Georges,Voltaire, (paris,labraire armand,1908),p183.

(٢٥) كريسون، المصدر السابق، ص٨٩.

(٢٦) صالح، المصدر السابق، ص٢٤٤ ؛
Romans,devoltaire, (paris,garnier frères libraires rditeurs,no date),p331.
ecourt,Eugene de mir,laqueue de Voltaire, (paris, libraires editeurs,1864),p43 ؛
moussinot,labbe,Voltaire leclise, (paris,librairie,Sandoz fisch bacher, ؛
1878),p16.

(٢٧) صالح، المصدرالسابق، ص٢٣١.

(٢٨)منصور، المصدر السابق، ص٢١٧.

(٢٩) فولتير، القدر، ترجمة: طه حسين، (بيروت:دار العلم للملايين، ١٩٨٢)، ص٥.

(٣٠) Parton,james, life of Voltaire, (boston,Houghton Mifflin and company,1981)p25.

(٣١) فولتير، القدر، ص٥.

(٣٢) فولتير، قصص وحكايات، ترجمة:سلمان حرفوش، (بيروت، المدى، ٢٠٠٦)، ص٥

(٣٣) فولتير، رسائل فلسفية، ترجمة:عادل زعيتر، (بيروت: التنوير، ٢٠١٤)، ص١٠-١١.

(٣٤) فولتير، رسائل فلسفية، ص١٠-١١.

(٣٥) الجمل، المصدر السابق، ص٨٤.

(٣٦) Noel,euene,Voltaire, (paris,chanerot libraire editecr,1833),p42.

(٣٧) فولتير، كنديد او التفاؤل، ترجمة:عادل زعيتر، (بيروت:دار التنوير، ٢٠١٢)، ص١٢.

(٣٨) حنفي، المصدر السابق، ص٦٩-٧٠.

(٣٩) حنفي، المصدر نفسه، ص٧١-٧٥.

المصادر والمراجع

اولا: الكتب العربية

١. الجمل، شوقي عبد الله عبد الرازق، تاريخ اوروبا، (القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٠).

٢. رشوان، مالك محمد احمد، الثورة الفرنسية واثارها، (د.م، د.ط، د.ت).
٣. صالح، هاشم، مدخل الى التنوير الاوربي، (بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٥).
٤. منظور، انيس، الخالدون مائة اعظمهم محمد رسول الله -ص-، (القاهرة: المكتب المصري، د.ت).
٥. النشار، مصطفى، فلاسفة ايقظوا العالم، (القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦).
٦. نويه، عثمان، المفكرون من سقراط الى سارتر، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٠).

ثانيا: الكتب المعربة

١. بريهة، اميل، تاريخ الفلسفة، القرن الثامن عشر، ترجمة:جورج طرابيشي، ط٢، (بيروت:دار الطليعة، ١٩٩٣).
٢. ديورانت، ول، قصة الحضارة، عصر فولتير، ترجمة: فؤاد الدراوسي، (بيروت:دار الجيل، د.ت).
٣. --------، قصة الفلسفة، ترجمة:فتح الله المشعشع، (بيروت:مكتبة المعارف، ١٩٨٨).
٤. فولتير، رسائل فلسفية، ترجمة:عادل زعيتر، (بيروت:التنوير، ٢٠١٤).
٥. ------، رسالة في التسامح، ترجمة: هنرييت عبودي، (دمشق:دار بترا، ٢٠٠٩).
٦. -----، القدر، ترجمة: طه حسين، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢).
٧. ------، قصص وحكايات، ترجمة:سلمان حرفوش، (بيروت: المدى، ٢٠٠٦).
٨. -----، كنديد او التفاؤل، ترجمة: عادل زعيتر، (بيروت: التنوير، ٢٠١٢).
٩. كريسون، اندريه، فولتير، حياته، اثاره، فلسفته، ترجمة: صباح محي الدين، (بيروت:منشورات عويدات، ١٩٨٤).

١٠. مورا، اندريه، نصوص مختارة من فولتير، ترجمة: محمد غلاب، (الجزائر: المؤسسة العربية الحديثة، د.ت).

ثالثا: المجلات

حنفي، حسن، القاموس الفلسفي لفولتير، مجلة التراث الانسانية، العدد الثامن، (مصر: وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٦٨).

رابعا: الكتب الاجنبية

1. Parton,james,life of Voltaire, (boston,hugton miffIln an company, 1881).
2. Parton, tom, devoltaire, (paris, chez cauthier frères, 1911).
3. Pellissier, georges, Voltaire, (paris, labrairie armand,1908).
4. Cour,ala,Voltaire, (paris, libraires editeurs, 1860).
5. Desnotes, remarques, devoltaire, (paris, delancle prebes, 1871).
6. Ecourt, Eugene de mir, laqueue de Voltaire, (paris, libraires editeurs,1864).
7. Genvois, etles, Voltaire, (paris,parj.gabrel, 1857).
8. Lettres, devoltaire, (paris, Didier libraries editeurs,1858).
9. Romans, devoltaire, (paris, garnier frères libraires rditeurs).
10. Robert, leon,sisser tation, (lousanne, imprimerie coerces, bridel,1904).
11. Lesombres, parmi, Voltaire, (paris,etletrouve, no date).

12. Moussinot,labbe,Voltaire leclise, (paris, librairie, Sandoz fisch bacher,1878).
13. Noel, euene, Voltaire, (paris, chanerot libraire editecr, 1833).
14. Nourisson, voltair, (paris, library university of toron,1972).
15. Beitrage, Voltaire studien, (oppeln, eugen francks suchhan olund geord maske, 1882).